الأستاذة: كعبش ريمة

المقياس: مقاربات نقدية معاصرة

السنة: الثانية ليسانس

التخصص: دراسات أدبية

بتاريخ:08 -04-2021

التطبيق الثاني: البنيوية عند رومان جاكبسون

1-التعريف بالناقد:

يعد رومان جاكبسون (1896-1982م) (Roman Jakobson) من أهم رواد الشكلانية الروسية الذين اهتموا بنظرية الأدب تنظيرا وتطبيقا. ويعتبر كذلك من أهم المفكرين واللسانيين في القرن العشرين، ومن أهم رواد التحليل البنيوي في ميادين: اللغة والشعر والفن.

وقد عرفت مسيرته العلمية ثلاث مراحل أساسية هي: مرحلة حلقة موسكو اللسانية (1915-1920م) التي اندمجت في الأبوياز، ومرحلة حلقة براغ بتشيكوسلوفاكيا (1920-1930م)، ومرحلة التدريس بالولايات المتحدة الأمريكية في جامعتي هارفارد ومعهد ماساتشوستس للتقنية (MIT). وفي هذه الفترة بالذات، انشغل باللسانيات العامة، وتدريس اللغات والآداب السلافية.

وقد قال عنه الباحث الأمريكي ديفيد كارتر(David Carter) صاحب كتاب (النظرية الأدبية) :" كان رومان جاكبسون جسرا بين الشكلانية الروسية والبنيوية. وقد كان عضوا مؤسسا لدائرة موسكو اللغوية، حيث تكشف جميع كتاباته عن مركزية النظرية اللغوية في فكره، وخاصة تأثير سوسير.كما كان أحد المؤيدين المتحمسين للشعراء التجريبيين في عام 1920م، انتقل جاكبسون إلى تشيكوسلوفاكيا، وساعد على تأسيس دائرة براغ اللغوية المؤثرة.وبسبب الغزو النازي لتشيكوسلوفاكيا في عام 1939، غادر البلاد، واستقر أخيرا في الولايات المتحدة في عام 1941م."

هذا، وقد خلف لنا رومان جاكبسون مجموعة من الدراسات والكتب القيمة، مثل: (الشعر الروسي الحديث) (1921م)، و(حول الشعر التشيكي) (1923م)، و(أبحاث في اللسانيات العامة) (1963م)، و(ثمانية أسئلة حول الشعرية) (1977م)...

2- التصور المنهجي:

يعد رومان جاكبسون من الشكلانيين الأوائل الذين أرسوا دعائم علم الأدب، أو ساهموا في تطوير نظرية الأدب على أسس علمية وموضوعية، من خلال حصر موضوع علم الأدب في دراسة الأدبية (La littérarité). ويعني هذا أن علم الأدب أو البويطيقا أو الإنشائية (Poétique) يدرس ما يجعل من الأدب أدبا.أي: التركيز على وظيفة الأدب التي تتأسس على الوظيفة الجمالية أو الشعرية، من خلال إسقاط المحور الاستبدالي على المحور التركيبي، أو الجمع بين الانتقاء الدلالي والعلاقات النحوية. ويعني هذا أيضا أن الأدب يتكون من مواد دلالية وعلاقات نحوية وتركيبية، أو الجمع بين الدلالة والنحو ضمن علاقات الغياب(الدلالة) من جهة، أو علاقات الحضور(التركيب) من جهة أخرى.

ومن هنا، يتبنى رومان جاكبسون منهجا علميا وصفيا في دراسة الأنواع والأجناس الأدبية، من خلال التعامل مع الأثر الأدبي على أنه مادة وبناء وشكل وقيمة مهيمنة.وبذلك، فقد تمثل المقاربة البنيوية الشكلانية في دراسة النصوص الأدبية، بتفكيكها وتركيبها، اعتمادا على المستويات اللسانية: الصوتية، والتركيبية، والدلالية، والبلاغية. ومن ثم، فقد كان رومان جاكبسون أول من طبق المنهج البنيوي اللساني على الشعر، حينما حلل مع كلود ليفي شتراوس قصيدة القطط (Les Chats) لشارل بودلير سنة 1962م. وقد درسها الاثنان معا دراسة داخلية مغلقة، في إطار نسق كلي من الشبكات البنيوية المتفاعلة، بغية البحث عن الدلالة المبنية. وقد انصب هذا العمل التشريحي على مقاربة القصيدة تفكيكا وتركيبا، بالاعتماد على اللسانيات البنيوية، مع استقراء المعطيات الصوتية والصرفية والإيقاعية والتركيبية والبلاغية.

كما تمثل رومان جاكبسون منهجية تواصلية وظيفية في دراسة اللغة ونظامها التواصلي، ودراسة الفونيمات اللغوية باستقراء سماتها المميزة، في إطار نحو كلي كوني على غرار النحو الكلي لنوام شومسكي (Chomsky) في مجال التركيب.

وعلى العموم، فقد كان رومان جاكبسون أول من أرسى دعائم البويطيقا أو الشعرية (Poétique) على أسس بنيوية ولسانية وشكلانية موضوعية، وميز بين الأجناس الأدبية

وفق نظرية القيمة المهيمنة. وهو كذلك أول من سعى إلى دراسة النحو الكلي، انطلاقا من نظرية السمات المميزة في مجال علم الأصوات والفونولوجيا.

3- الجهود اللسانية:

لقد أسس رومان جاكبسون، بتنسيق مع تروبوتسكوي (Nikolaï Troubetzkoï)، وماتيسيوس (Mathesius)، وأندريه مارتيني (A.Martinet)، ووليام لابوف (William Labov)...، اتجاها لسانيا يعرف بالاتجاه البنيوي الوظيفي، وتعد حلقة براغ (Prague) بمثابة الحاضن الرئيسي لهذا الاتجاه اللساني. وإذا كانت البنيوية السوسيرية تهتم بدراسة اللغة فقط، فإن وظيفيي براغ يربطون اللغة بوظائفها في المجتمع.أي: يدرسون بنية اللغة وشكلها في علاقة بوظائفها السياقية والاستعمالية، وعلى أساس أن اللغة وظيفتها التواصل داخل المجتمع.

ومن هنا، " تبحث جماعة براغ في وظائف اللغة.أي: استعمالاتها، بالإضافة إلى شكلها وبنيتها. وإذا كان سوسير ينظر إلى اللغة باعتبارها منظومة (System)، فإن جماعة براغ تضيف إلى ذلك بعدين اثنين، وهما: البعد البشري والبعد الأدبي. أي: الوظيفة الاجتماعية والوظيفة الشعرية (مع جاكبسون خاصة)".

ويعرف رومان جاكبسون باهتمامه بالشعرية من جهة، وبالنحو الكلي من جهة ثانية. فعلى مستوى الشعرية، فقد ربط اللغة بستة عناصر هي: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والمرجع، والقناة، والسنن. وحدد لكل عنصر وظيفة معينة. وبالتالي، فقد تحدث عن أدبية الأدب، والقيمة المهيمنة في تصنيف الأجناس والأنواع الأدبية. كما تحدث عن تطور الأنساق الأدبية الشكلية، وتعمق في دراسة الشعر في ضوء عناصره البنيوية، سواء أكانت صوتية أم صرفية أم إيقاعية أم تركيبية أم دلالية أم بلاغية، ضمن المحورين الاستبدالي والتركيبي.

ومن الناحية اللسانية، فقد أرسى رومان جاكبسون نحوا كليا في مجال الفونولوجيا.بمعنى أن جميع اللغات يمكن تحليلها " انطلاقا من مقاييس موحدة (معيارية).وهذه النظرية التي طبقها جاكبسون في الفونولوجيا، والتي سيطبقها تشومسكي فيما بعد على التركيب، أتاحت له إبداع نظرية أخرى تعرف بنظرية (السمات المميزة)، وكان له بذلك دور حاسم في إعادة توجيه مجرى اللسانيات في الولايات المتحدة.فقد ظل الوصفيون الأمريكيون، قبل مجيء جاكبسون، يشتغلون ضمن فلسفة النسبية، إذ طالما اعتقدوا أن اللغات قد تختلف بعضها عن بعض إلى مالا نهاية.قد كانوا يعتقدون أن لكل لغة هيكلها الذي يميزها عن غيرها.

أما جاكبسون، فكان يؤمن أن اللغات قد تختلف فيما بينها فعلا، ولكن ضمن حدود معينة، بحيث تجمعها خواص هي ما أطلق عليه النحو الكلي.فقد نتحدث لغات مختلفة، بل قد نستعمل في كلامنا أصواتا متنوعة، مثل: الخاء التي توجد في بعض اللغات، وتفتقدها لغات أخرى، لكن نجد السمات ذاتها فيها جميعا، مثل: [حلقي]، و[رخو]، و[شديد]... إذاً، تختلف اللغات حقا، غير أنها في هذه الحالة بمثابة يد واحدة تتفرع إلى أصابع.وتلك هي فرضية النحو الكلي.

وإذا كان البنيويون التوزيعيون الأمريكيون يربطون اللغة بالحضارة التي نشأت فيها، فإن تشومسكي يربطها بالدماغ النفسي؛ لأن الناس يتفقون في السمات المميزة للأصوات؛ وهذه الأصوات لها ارتباط بالجهاز الصوتي والنفسي.أي:إن رومان جاكبسون يستدل بحجة أخرى على النحو الكلي. "فعلى عكس البنيويين الأمريكيين السابقين لجاكبسون، وهم الذين كانوا يربطون كل لغة بحضارتها الخاصة (كما جاء في فرضية سابير وورف)، ويطبعونها بطابع اجتماعي، نجد جاكبسون يعتقد غير ذلك.فاللغة، بالنسبة له، لها علاقة بالنفس / الدماغ.إذ لايتوقف الأمر عند حقيقة أننا نتشارك في تلك السمات مثل: [شفوي]، و[رخو]،... التي تبين وجود تشابه في النطق مخرجا وصفة، بل يتعداه لإثبات غاية أهم من ذلك.لقد أراد جاكبسون أن يوضح ما وراء المجرى الصوتي إلى حيث الدماغ. فالصفات المميزة (المقدرة ببضعة عشرة) لها حقيقة نفسية، وهي متماثلة عند بني الإنسان جميعهم.

إن الدماغ البشري هو ذاته بالنسبة لجميع البشر، ولهذه الحقيقة دلالات تتعلق بلغة الطفل.فإذا أخذنا طفلا مغربيا إلى الصين، فإنه يكتسب الصينية دون أدنى صعوبة في بضع سنوات، شرط ألا يتجاوز عمره ما يعرف في اللسانيات بمرحلة الليونة، تماما كما لو فعلنا ذلك بطفل صيني، وذهبنا به إلى إنجلترا، فإنه يكتسب اللغة الإنجليزية كأنها لغة أمه.

هذا، وقد أوجد جاكبسون مجموعة من السمات المميزة والأوصاف المحددة للفونيمات، بغية التمييز بينها صوتيا ودلاليا. ومن قبل، كان اللسانيون يشتغلون على الفونيم ضمن اللغة المجردة. في حين، انصب اهتمام جاكبسون على المميز . بمعنى إذا كان الفونيم هو أصغر وحدة لسانية عند اللسانيين، فإن جاكبسون يقسم هذا الفونيم إلى أصغر من ذلك.أي: إلى مجموعة من السمات والقيم الخلافية.

هذا، وقد وضع جاكبسون نظاما من اثنتي عشرة خاصية صوتية وتنغيمية تطبق على الصوامت والصوائت، إن تلفظا، وإن سمعا، حيث ميز بين مجموعة من السمات المميزة،

مثل: صامت/ صائت، ومجهور/مهموس، ونهائي / لانهائي، وانفجاري/غير انفجاري، وهادئ /حاد، وممتد/ باهت.

وفي العربية، يمكن الحديث عن مجموعة من السمات المميزة: صائت، وصامت، ومهموس، ومجهور، وشديد، ورخو، ومائع، وتكراري، وشفوي، ولثوي، وغاري، وطبقي، وحلقي، وحنجري، ولهوي...

وعلى العموم، فقد كانت جهود رومان جاكبسون اللسانية متميزة وواضحة بشكل كبير، فقد ترك تأثيرا ملحوظا في لسانيات القرن العشرين، خاصة في مجال الفونولوجيا.